الخطاب النهائي

الذي ألقاه أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٨/ ١٢/ ٢٠١١

في مسجد بيت الفتوح بلندن

بمناسبة الجلسة السنوية في قاديان بالهند

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمّـــدًا عبـــده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّـــاكَ نَعْبُـــدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْـــرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

تنتهي اليوم بفضل الله الجلسة السنوية في قاديان، نحن ننتظر هذه الجلسة طول العام، ونقوم بالترتيبات إلى أن تأتي هذه الجلسة بعد سنة، ثم تنتهي هذه الأيامُ الثلاثة في لمح البصر. إن الجلسة السنوية أيضا من الفيوض التي هيأها الله ﷻ

لتقدُّمنا الروحاني من خلال بعثة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام. هذه الجلسة فريدةٌ من نوعها في العالم التي لا يحضرها الناس لسماع ترّهات أي سياسيٍّ أو أقوال المادية لأحدِ أهلِ الدنيا، وإنما يجتمعون للاستماع إلى ذكر الله في مجالس الذكر، لكي يزدادوا تعلقا بالله سبحانه وتعالى وحبًّا له أكثر من ذي قبل، فهم يجتمعون لفهم تعاليم القرآن الكريم وتعلُّمِها لكي يتمكنوا من تطبيق هذا التعليم الجميل على حياتهم بصورة أفضل. كما يجتمعون للاستماع إلى جوانب مختلفة من حياة النبي محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم الطيبة –وما أروع ما قالته السيدة عائشة عن حياته صلى الله عليه وسلم حين قالت: "كان خُلقه القرآن"– والسعيِ للتأسي بأسوته في الحياة لكي يُحسنوا دنياهم وعقباهم. نحن نحضُر هذه الجلسةَ لسماع كلام إمام الزمان المسيحِ الموعود والإمام المهدي وحبيبِ الله ومبعوثه الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى هذه المرتبة العالية إذ قال في حقه "هذا رجل يحب رسول الله." فنحن نجتمع للاستماع إلى أقوال حبيب الله هذا، الذي أحبه الله سبحانه وتعالى لأنه كان يحب رسوله صلى الله عليه وسلم من أجله سبحانه وتعالى، الذي من أجله خلق الله سبحانه وتعالى السماوات الأرض، فإنشاء الصلة بهذا الإنسان العظيم والاستماع إلى أقواله بنِيّة تحسين دنيانا وآخرتنا بإصلاح نفوسنا في هذا الزمن الذي يسوده الفساد صفقة رابحة من جميع النواحي.

فهذه هي غايتُنا من عقْد هذه الجلسات، ونحن ننتظر تحقيق هذه الغاية طول العام، فما أسعد أولئك الذين يجتمعون لهذا الهدف النبيل في هذا العصر المادي! فقد اجتمعوا في هذه الأيام في قرية سيدنا المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام الذي بعثه الله في هذا الزمن للنهوض بالإسلام من جديد. إنني أتوقع أنّ جميع

المشاركين قد قضوا هذه الأيام الثلاثة للجلسة واضعين هذه الأمور بعين الاعتبار. وفَّقكم الله جميعا للعودة إلى بيوتكم متمتعين ببركات الجلسة إلى أقصى حد. إن أبناء جماعة باكستان ينتظرون هذه الجلسة بصفة خاصة، لأنهم يوفَّقون لحضور الجلسة بسبب قربهم من مكان الجلسة، خاصة أن العلاقات الثنائية بين البلدين قد تحسنتْ نسبيا في هذه الأيام. وإن كان عدد التأشيرات مع ذلك محدودا، إلا أنهم يعوِّضون حرمانهم بالحضور في هذه الجلسة لحد ما بالدَّوْر؛ فَهُم – إلى حدّ ما- يَروون غليلهم الناجم عن عدم تمكّنهم من عقد الجلسات في باكستان؛ فإنني أتوقع أيضا أن أبناء جماعة باكستان قد قضوا هذه الأيام في الدعاء بصفة خاصة لانتهاء هذا الحرمان وركزوا على الدعاء كثيرا. تقبَّل الله أدعية هؤلاء المحرومين بصفة خاصة، وأدعية سائر المشاركين في الجلسة أيضا بصفة عامة. وفَّق الله جميع المشاركين في الجلسة لجعْل كلِّ ما سمعوا فيها والتغييرات الطاهرة التي شعروا بحدوثها، جزءا لا يتجزأ من حياتهم، وما لم تكن هذه التغييرات المؤقتة جزءا من حياتنا بصفة دائمة، فلا يسعنا الفوز بأفضال الله ﷻ. فالمسئولية التي ألقاها الله على عواتقنا لا بد أن نسعى لإنجازها في كل حال، فعلينا أن لا نسعى لحماية أنفسنا فقط من هذه الاضطرابات السائدة في العالم تحسينًا لدنيانا وعقبانا فحسب، بل من واجبنا نحن الأحمديين أن نرشد العالم أيضا ونحميه من الشر، ونبذل الجهود في سبيل ذلك. إن مسؤلية حماية العالم من كل أنواع الفتن وجعْله منيبا إلى الله على وجه صحيح تقع اليوم على كواهل الأحمديين الذين تعهدوا بالبيعة على يد إمام هذا الزمان عليه السلام أنهم سيكونون مشغولين في مواساة بني البشر دوما. وفي

أي شيء يكمن نصحُ الإنسان أكثر من أن نجعله منيبا إلى الله ﷻ ليجتنب الهلاك والدمار؟ إذا كنا ندّعي أننا بمعرفة إمام الزمان وببيعته قد فزنا بالإسلام الحقيقي الذي جاء به النبيُ ﷺ، وأننا ندرك حقيقة هذا الإسلام ونعمل بتعاليمه التي أنزلها الله عليه ﷺ في صورة القرآن الكريم، فلا بد أن نصبّغ كل عمل وقول لنا بالتقوى، ولا بد أن نجعل كل عمل وقول لنا تابعا لمرضاة الله ﷻ، ولا بد أن نولِّد في قلوبنا خوفَ الله وخشيتَه، ونضحي بالأنانية والمصالح الشخصية من أجل النصْح للإنسانية وبقائها. إن الأحمدي وحده اليوم يدرك الروح الحقيقية للتقوى لأننا نحن فقط حظينا بالتوجيه الحقيقي في هذا الزمن الذي بشَّرَنا الله به في القرآن الكريم في قوله ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، نحن أولئك السعداء الذين بلَّغْنا المسيحَ المبعوث والإمامَ المهدي سلامَ النبي ﷺ.

فإنّ مِن مهمة الجماعة الإسلامية الأحمدية وحدَها أن تعيد التقوى التي قد اختفتْ من هذا العالم، فإن لم نسعَ لذلك بإحداث التغييرات الطاهرة في نفوسنا فإن دعواتنا وجلساتنا وحماسنا لحضور هذه الجلسات سيكون عديم الجدوى. ما أسعدَنا نحن الأحمديين الذين هيأ الله لنا حبله بجميع أجزائه، فقد وهب لنا النبيَّ العظيم ﷺ الذي هو أسوة حسنة لنا، الذي قال في حقه ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب ٢٢) ثم وضَّح من خلال أمره أنْ يعلن ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ﴾ (آل عمران ٣٢)، أنَّ حبلَ الله هو هذا الرسول ﷺ الذي بالتأسي بأسوته وبحبه يمكن أن تحرزوا الوصال الإلهي. فإن

إنشاء علاقات الحب الصادق بخاتم الأنبياء ﷺ والتفاني فيه هو الإمساك بحبل الله.

ثم إن القرآن الكريم الذي هو آخِر كُتب الشريعة الذي نزل على النبي ﷺ هو الآخَر حبل الله، وهو كتاب كامل ومكتمل ويتضمن بيانا مفصلا بحقوق الله وحقوق العباد، التي بتأديتها ينال العبد قرب الله، ويصل إلى الله، فقد ورد في رواية أن النبي ﷺ قال بأن هذا الحبل ممدود من الأرض إلى السماء. ثم من منة الله العظيمة علينا نحن الأحمديين أنه ناولَنا الجزءَ الثالث من حبل الله أيضا، وهو بعثة خاتم الخلفاء المسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام.

فحبل الله يكتمل بالقرآن الكريم والنبوة والخلافة، ثم إقامة نظام الخلافة بعد وفاة سيدنا المسيح الموعود عليه السلام على منهاج النبوة. إن جميع المسلمين في العصر الراهن محرومون من الاعتصام بهذا الجزء الثالث من حبل الله مع تسمِّيهم بالأمة الإسلامية، أما الأحمديون فمن منة الله الإضافية عليهم أن وفَّقهم للاعتصام بهذا الجزء لحبل الله. لكننا لا نفرح باعتصامنا بحبل الله، وحرمانِ الآخرين من ذلك، فالاعتصام الصحيح بحبل الله أو أداء حقه على وجه صحيح يقتضي منا أن نسعى جاهدين لجعْل جميع المسلمين المقيمين في هذا العالم معتصمين بحبل الله هذا، فسوف نسعى لذلك إن شاء الله. فلن تكون أي قيمة لدعوانا بحب النبي العربي ﷺ إن لم نبذل قصارى جهدنا لضم كل مَن ينتسب إلى النبي ﷺ إلى جماعة محبه المخلص، الذي عهد الله إليه مهمة القضاء على كل أنواع الفرقة، وإنشاءِ أمّةٍ واحدة، الأمة التي أنشأها النبيُّ ﷺ

التي نجد صفاتها في مسلمي القرون الأولى. كان الله ﷻ قد قال للمسيح الموعود في الوحي أن "اجمع جميع المسلمين على هذه الأرض على دين واحد".

فإنها لَمسؤولية المؤمنين بالمسيح الموعود عليه السلام أن يسعوا جاهدين لجمع الناس على دين واحد حتى يتم القضاء على جميع أنواع التفرقة والتشرذم وتسود العالم العظمة المحمدية ويتلألأ النور المحمدي بتجلّ جديد. إن لم يكن بوسع الأحمديين في باكستان تبليغ دعوة إمام الزمان جراء قوانين البلد وفرض الحظر على مثل نشاطاتهم الدينية فعليهم أن يبللوا مساجدهم بدموعهم ويَرووا غليلهم بماء الحرمان هذا ويسألوا الله تعالى أن يحسّن دنياهم وعقباهم ويمكنهم من إصلاح أنفسهم. فعندما تصل دعوات الأحمديين جميعًا إلى الله تعالى فستلين القلوب المتحجرة القاسية أيضا بإذن الله تعالى، وعندها ستبصر أعين العميان الروحانيين أيضا. فلا بد أن ندرك مسؤوليتنا تجاه هذا الأمر. إن هذا المحسن إلى البشرية والرحمة للعالمين ﷺ قد جاء ليتعرَّف العالم كلُّه على الإله الواحد الأحد لكي يتخلص من كل أشكال الفساد والحروب، ولتحسِّنَ البشريةُ كلُّها دنياها وعقباها، ولتسود العالَمَ المحبةُ والسلام والأُخُوَّة، ولأجل مواصلة هذه المهمة ولتحقيق هذا الهدف قد بعث الله تعالى المسيح الموعود عليه السلام في هذا الزمان، وهذا أيضا أحد أهداف بعثته.

نرى في هذه الأيام أن الناس جميعًا – المسلم وغيره على حد سواء – يعانون الفوضى والفساد، فإنهم لا يقصّرون في حقوق الله تعالى فحسب بل هناك تقصير كبير في أداء حقوق العباد أيضا بحجة نشر الأمن وترسيخ العدل، في حين أن العدل والأمن لا يتراءان في أي مكان في العالم. إن الأطماع

الدنيوية تجاوزت الحدود كلها حيث يُنظر إلى ثروات الآخرين بحسد وطمع، هذا ما يفعله الناس الذين تجاوزت أطماعهم كل حدود.. وتشترك في ذلك الحكومات أيضا، وهذا هو منشأ الفساد ومنه يتولد جميع أنواع الفساد. فعلينا إرشاد المسلمين أيضا الذين يقطعون رقاب بعضهم البعض في حروب طائفية، وإن معظم الدول العربية أيضا تعرضت للفساد بسبب النزاعات الطائفية والأطماع للوصول إلى سدة الحكم وغصبِ حقوق العباد. فهذا هو السبب الكامن وراء جميع أنواع الفساد في هذه البلاد كلها، أما البلاد الأخرى من العالم فنرى الطمع وغصب الحقوق أيضا من أهم الأسباب المؤدية إلى نشر الفساد فيها. وهناك بارقة أمل تضمن الحفاظ على حقوق المسلمين وغيرهم على حد سواء وهي تكفل سيادة الأمن في المجتمع وتمنح ضمان إقامة المحبة والأخوة والالتحام، ويضمن هذا الأمل كل هذه الحقوق والأمور كما ضمنتها قبل أربعة عشر قرنا. لقد ظهر هذا الأمل قبل أربعة عشر قرنا حين ﴿ظهر الفساد في البر والبحر﴾ فولّد هذا الأمل المحبة والأخوة بين الناس وجعلهم يصلون إلى أعلى المستويات في أداء حقوق العباد. فمَن كانوا قد بلغوا من الظلم والبربرية ذروتَهما واتصفوا بصفات الوحوش الضارية عندما استظلوا بظلّ التعاليم التي جاء بها النبي ﷺ جعَلَ منهم أناسًا يحققون المستويات العليا في الصبر والتحمل من أجل إرساء دعائم أمن المجتمع، وستظل هذه النماذج داعيةً البشريةَ كلها إلى يوم القيامة إلى التحلي بالصبر من أجل رضا الله تعالى.

إن تاريخ الإسلام يفيض بالمساعي التي بذلها سيدنا محمد ﷺ من أجل إحلال الأمن والسلام، فعلى سبيل المثال، لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة عقد

معاهدةً مع مختلف القبائل والأديان والأحزاب بصفته رئيسًا لهذه الدويلة. فقد عقد مع جميع الأحزاب معاهدة من أجل الأمن والرقي والقضاء على الظلم وتوفير العدل. ولما كان اليهود يشكلون أكبر فئة من غير المسلمين فيها فقد عقد النبي ﷺ معهم معاهدة منفصلة، وهذه بعض شروطها البارزة:

إن اليهود سيعيشون كأمة مع المسلمين.

لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

وإن بينهم النصح والنصيحة والبر والصلح. أي أن اليهود والمسلمين سيعملون بهذه الأمور ولن يسمحوا لأحد مخالفة هذا الصلح والنصيحة.

لن يقبل أحد الفريقين أو فرد من أفرادهما الإضرار بحق الآخر بل سيكون واجبًا عليهم نصرةُ المظلوم.

وإنَّ الجار كالنفس غير مضارٍ ولا آثم.

لو انتفع أحد الفريقين بشيء جراء التصالح مع العدو فسيتقاسمه الفريقان.

فنرى في سيرة النبي ﷺ هذه المحاولة من أجل إحلال الأمن والسلام مبنيةً على العدل، وهي كفيلة بتوطيد الأمن في المجتمع.

ثم انظروا إلى وثيقة الأمان التي كتبها النبي ﷺ لنصارى نجران فإنها أيضا تبلغ مستوى عاليًا من العدل، وإليكم بعض بنودها التي كتبها النبي ﷺ:

أكون من ورائهم، ذابًّا عنهم كل عدو يريدني وإياهم بسوء، بنفسي وأعواني وأتباعي وأهل ملتي.

وأحمي جانبهم وأذبّ عنهم وعن كنائسهم وبِيَعهم وبيوت صلواتهم ومواضع الرهبان ومواطن السياح، حيث كانوا من جبل أو وادٍ أو مغار أو عمران أو سهل أو رمل.

أحرُس دينهم وملتهم أينما كانوا؛ من بَرٍّ أو بحر، شرقا وغرباً، بما أحفظ به نفسي وخاصتي، وأهل الإسلام من ملتي.

أحميهم كونهم يدخلون في رعاياي. ويشترك معي في هذه المعاهدة جميع المسلمين المستعدين لحمايتهم من قِبل الإسلام. وأُدخلهم في أماني من كل أذى ومكروه ولن أدعه يصل إليهم.

أعزل عنهم الأذى في المؤن التي حملها أهل الجهاد من الغارة والخراج، إلا ما طابت به أنفسهم. وليس عليهم إجبار ولا إكراه على شيء من ذلك. لا تغيير لأسقف عن أسقفيته، ولا راهب عن رهبانيته، ولا سائح عن سياحته، ولا هدم بيت من بيوت بِيَعهم ولا إدخال شيء من بنائهم في شيء من أبنية المساجد، ولا منازل المسلمين.

لا يحمل الرهبان والأساقفة، ولا من تعبّدَ منهم أو توحَّد في الجبال والمواضع المعتزلة عن الأمصار شيئا من الجزية أو الخراج.

لا يجبر الذمي على الاشتراك في الحرب من جانب المسلمين، بل إنهم استوجبوا حق الذمام ويدفعون لنا مقابله.

ولهم إن احتاجوا في مرمّة بِيَعهم وصوامعهم، أو شيء من مصالح أمورهم ودينهم، إلى رِفدٍ من المسلمين وتقوية لهم على مرمتها، أن يُرفَدوا على ذلك

ويعاوَنُوا، ولا يكون ذلك دَينًا عليهم، بل تقويةً لهم على مصلحةِ دينهم ووفاء بعهد رسول الله موهبة لهم ومنة لله ورسوله عليهم.

هذه هي أسوة النبي ﷺ التي نراها تنشر المحبة والوئام وترسخ القيم الإنسانية. هل تتراءى لنا مثل هذه الأسوة في الأمة المسلمة الآن؟ إنهم يدَّعون حب النبي ﷺ ولكن لا تسلم – ممن يصل منهم إلى سدة الحكم – نفوس أتباع دينهم من الفرق الإسلامية الأخرى وأموالهم ناهيك أن يؤتوا ضمانًا لأتباع الأديان الأخرى بحماية نفوسهم وأموالهم وأن يُسْدوا إليهم بالمعاملة الحسنة.

لقد أعمت هؤلاء المسلمين الأطماع المختلفة والتفرقة فيتقاتلون بلا هوادة. لا شك أنهم يدّعون الإيمان بالنبي ﷺ الذي وبّخ أحد أتباعه على قتله شخصًا تلفّظ بالشهادتين. فقال هذا الصحابي بأن القتيل قرأ الشهادتين خوفًا من القتل. فقال له النبي ﷺ: هل شققت عن قلبه، لتعرف هل قالها خوفًا من القتل أم آمن بها من صميم فؤاده؟ ولكنّ فئةً من الناس الذين يزعمون أنهم علماء أو زعماء راحوا يدّعون اليوم بأنهم يعلمون الغيب إذ يقولون: نعلم بأن الأحمديين يتظاهرون بقول الشهادة ولا يقولونها من القلب، لذلك فاظلِموهم كما تشاءون ثم يمنحون للناس الحرية ليشنقوا مَن يشاءون.. أيا كان دينه باسم حماية شرف النبي ﷺ. ندعو الله تعالى أن يحاسب بنفسه أولئك الذين يصمون اسم الإنسانية بوصمة عار وشنار، ويحمون وطيس المظالم باسم الذي ضمن الأمن للجميع. عليهم أن يخافوا عقوبة الله التي تحل بغتة وعلى حين غرة وتنزل حتما عندما تبلغ المظالم منتهاها فلا تُبقي أحدا ولا تذر. نرى في

بعض البلاد الإسلامية تصرفات أن الفرقة التي في يدها عنان الحكومة تؤذي المنتمين إلى فِرق أخرى. أما الهند التي تعلن أنها بلد عَلماني ويحظى فيها الهندوس بأغلبية ساحقة فقد بدأت فيها أيضا بعض الفِرق الإسلامية بالتصرفات نفسها إذ يطالبون الحكومة أن تحظر اجتماعات الجماعة الإسلامية الأحمدية وتُغلق معارض كتبها. فقد خرجوا في مسيرات في عدة أماكن وطالبوا الحكومة أن تفرض الحظر على اجتماعنا هذا في قاديان، وتحظر على برامج الجماعة التلفزيونية، وأن تُحدّ من خدمات الجماعة للبشرية وأن تمنعهم من عبادة الله الواحد الأحد. مما لا شك فيه أن نعراتهم هذه لن تضر الجماعة بشيء ولن يتوقف تقدم الجماعة باستعانتهم بالحكومات، ولا يمكن للأحمديين أن يحجموا عن عباد الله الواحد الأحد، ولن يمتنعوا بحال من الأحوال من التأسي بأسوة النبي ﷺ. لقد جاء كثير من الجبابرة من الناس ومن الحكومات الفرعونية، ورحلت من العالم بحسرات كثيرة، وقد غادر هؤلاء الناس مشاهدين مشاهد عاقبتهم الوخيمة، ولكن الجماعة لاتزال بفضل الله تعالى ورحمته سائرة على قدم وساق إلى منازل تقدُّمِها وارتقائها وستظل سائرة دائما بإذن الله.

هذا هو قدر الأحمدية المقدور، ولكنني أقول للشريحة العادلة في الهند بأنكم إذا سمحتم لأهل فِرقة معينة بممارسة التطرف من أجل المصالح السياسية لاختلّ أمن هذا البلد أيضا ولصار عرضة للفوضى والفساد. وستتلاشى إعلانات كونها بلدا علمانيا ولن يبقى فيها سوى الاخلال بالأمن والانحطاط السياسي والأخلاقي. لذا عليكم أن تنصحوا أصحاب الحل والعقد في بلادكم بأنكم إن

كنتم تريدون الأمن والوئام وتقدُّم البلاد فعليكم أن تبذلوا كل ما في وسعكم لوضع الحد للتطرف أيا كان نوعه.

أعود الآن إلى تعليم الإسلام المبني على الأمن والوئام وأقرأ على مسامعكم بعض المقتطفات من كلام سيدنا الإمام المسيح الموعود عليه السلام تشرح لنا أسوة النبي ﷺ في ذلك.

يقول عليه السلام: في هذه الآية ﴿وَلَوْلا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ﴾ (الحج:٤١). يبين الله تعالى بأنه هو الذي يحمي دور العبادة كلها. فمن واجب الإسلام أنه اذا فتح بلدا مسيحيا مثلا ألا يتعرض لمعابدهم قط، بل يجب أن يمنع هدم كنائسهم. وهذا هو التعليم الذي يُفهم من الأحاديث النبوية أيضا، لأنه يتبين من الأحاديث أنه كلما كلِّف قائد مسلم بمواجهة قوم كان يؤمَر دائما ألا يتعرض لمعابد اليهود والنصارى وزوايا الزهاد. يتضح من ذلك مدى بُعد الإسلام عن التعصب والعناد إذ يحمي كنائس النصارى ومعابد اليهود كما يحمي المساجد، غير أنه لم يُرد الله تعالى الذي هو مؤسس الإسلام أن يفنى الإسلام نتيجة هجمات الأعداء، بل سمح بالحرب الدفاعية وأذن للمواجهة من أجل حماية النفس.

يتابع عليه السلام قائلا: "الحروب التي خاضها النبي ﷺ فقد خاضها بعد تحمل المعاناة إلى ١٣ عاما وذلك أيضا في الدفاع. لقد تحمل ﷺ تعذيبا على أيديهم إلى ١٣ عاما، واستُشهد المسلمون رجالا ونساء حتى هاجر إلى المدينة في نهاية المطاف ولكن عندما لم يرتدع الظالمون عن مطاردته هنالك أيضا أمر الله تعالى

المظلومين بالمواجهة، وذلك لكي يُنقذ الخلق من شر الأشرار ولكي يُفتح الطريق للصادقين. لم يرد النبي ﷺ سيئة لأحد قط بل كان رحمة متجسدة. لو أراد بأحد سوءا لكان بإمكانه عندما حاز السيطرة الكاملة ونال الشوكة والغلبة أن يقتل أئمة الكفر جميعا الذين آذوه دائما. ولو فعل ذلك كانت كفته راجحة تماما من حيث العقل والعدل؛ إذ كان من حقه بحسب الأعراف السائدة والعقل والعدل أن يقتلهم جميعا ولكنه لم يفعل ذلك بل عفا عنهم. هل لأحد أن يجير اليوم مَن يخونون ويتمردون؟ حينما انتشرت أعمال الشغب والفساد في الهند وأحكم الإنجليز سيطرتهم قُتل جميع المتمردين الأشرار بعدها، وكانت عقوبتهم مبنية على العدل لأنه لا مَخلص للمتمردين في أي قانون. بل كان من رحابة صدر النبي ﷺ أنه قال لهم في ذلك اليوم: اذهبوا فقد عفوتُ عنكم. يتبين من ذلك صراحة أن النبي ﷺ كان يكنّ لبني البشر مواساة عظيمة لا يوجد لها نظير في العالم. فأيّ ظلم أكبر من أن يقال بعد ذلك أيضا بأن الإسلام لا يعلّم مواساة الآخرين!

اعلموا يقينا أن المتقي لا يكنّ في قلبه شرًّا. كلّما تقدم المرء في التقوى ما أحب لأحد العقوبة والإيذاء."

فنحن لا نشك أبدا في أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يضمن إقامة الأمن في العالم ولم يعلِّم الإخلال بالأمن قط. ولا يثبت من عمل النبي ﷺ وعمل الخلفاء الراشدين وأسوتهم أن الإسلام، كدين، شنّ هجوما بُغية انتشاره أو الإخلال بأمن العالم. غير أنه عندما هوجم الإسلام ردّ على الهجمات، لأننا لا نرى مواساة مثلما نلاحظه في شخص النبي ﷺ، فأنّى كان بالإمكان أن يثبت

من أسوته ﷺ أو أسوة الصحابة أنهم نشروا الفوضى أو حاولوا إيذاء البشر؟ لأنه ﷺ ذلك النبي الذي كان خلُقه يعلّم القرآن. يقول القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: ٩)

فإن كنا نعلن أننا نتأسى بأسوة النبي ﷺ فلا يمكن لعداوة قوم أن تمنعنا من العدل، ولا يمكن لمساعي الدنيا أن تحول دون إقامتنا الأمن والسلام. لقد عفا النبي ﷺ عن الأعداء الألداء أيضا من أجل إقامة الأمن، كما قال المسيح الموعود عليه السلام بأنه ﷺ عفا عنهم حين كانت معاقبتهم مقتضى العدل والإنصاف بعينه، فكيف كان بالإمكان ألا يؤدي ﷺ مقتضيات العدل؟ كل مؤمن حقيقي يحب الرسول ﷺ ويتّبعه لا يمكن أن ينحرف عن العدل بحال من الأحوال. والذين يدوسون العدل والإنصاف تحت الأقدام لا تنطوي قلوبهم على التقوى. فكما قلت قبل قليل إن القرآن الكريم هو الشريعة الأخيرة وهو الكتاب التشريعي الأخير وهو كامل ومكتمل من كل الجوانب والنواحي، فلا يمكن أن يدعه الله تعالى ليضيع. لذلك أرسل الله تعالى المسيح الموعود والمهدي المعهود في هذا العصر ليقيم التقوى في القلوب. فبشَّر عليه السلام المؤمنين بالدين الأخير والكامل بأن الآخرين سيلحقون بالأولين. ونحن شاهدون على أن الله وفَى بوعده ونشاهد اليوم مشاهد أمة واحدة من خلال الداخلين إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية. ونرى الذين يحاولون إقامة الأمن والعدل في العالم متمسكين بأهداب التقوى. ونقرأ ونسمع عن مساعي إمام الزمان والخادم

الصادق للنبي ﷺ لإقامة الأمن والصلح والوئام والأخوة، وفوق كل ذلك مساعيه لإقامة التوحيد. يقول المسيح الموعود عليه السلام:

"إن مواساة بني آدم كلهم من مبادئنا. فلو أن أحدكم رأى الحريق قد شب في بيت جاره الهندوسي، ولم يسرع لمساعدته في إطفائه فأقول حقًا إنه ليس منا. ولو أن أحد مريدينا رأى مسيحيًا يُقتَل بيد غيره فلم يحاول إنقاذه فأقول حقًا إنه ليس منا. الإسلام ليس مسؤولا عن أصحاب السيرة السيئة من أهله، إذ نجد أن البعض يقتل طفلاً طمعًا في روبية واحدة، وهذه الأحداث إنما دافعها أهواء النفس. ثم إن أبناء جماعتي على وجه الخصوص يحضرون عندي ليتعلموا الصلاح والتقى، ولا يجتمعون عندي ليتعلموا مني أعمال الصعاليك ويدمّروا إيمانهم. وأقول حلفًا بالله والحق أقول: إني لا أعادي أي قوم أبدًا، غير أني أريد إصلاح عقائدهم قدر المستطاع، وإذا كان البعض يلجأ إلى السباب فشكوانا مرفوعة في محكمة الله لا في أية محكمة دنيوية. ومع ذلك فإن مواساة بني نوع البشر من واجبنا."

ثم يقول عليه السلام وهو يعظ جماعته:

"إني أنصح جماعتي أن الأولى بهم أن يصبروا على سبابهم (أي سباب الأعداء والمناهضين) ولا يردّوا على السبّ بالسبّ، لأن هذا يمحق البركة. عليهم أن يضربوا أروع مثل للصبر والتحمل، ويتحلوا بالأخلاق الفاضلة، ولْيعلموا يقينًا أن بين العقل والغيظ عداءً شديدا. إن الثورة والغضب يُفقِد العقل والصواب، أما الذي يتمسك بأهداب الصبر والحلم فإنه يعطى نورًا

يزوّد قواه العقلية والفكرية بضوء جديد، ثم يولّد النور نورًا آخر. وبما أن الغضب والثورة يُظلِمان القلب والعقل، فيولّد الظلام ظلامًا آخر."

هذا هو التعليم الجميل الذي يتوقع سيدنا المسيح الموعود عليه السلام مِن كل أحمدي العملَ به، لأن هذا ما يساعدنا على الاستنارة بالنور الذي أتى به النبي ﷺ والذي قام محبُّه الصادق بتجديده في هذه العصر. الحق أن جماعة المبايعين على يده هي الضمان لسلام العالم اليوم، ولكن هذا يتطلب من كل واحد منا أن يفحص قلبه متسائلا: هل نستطيع أن نهيئ السلام للعالم بمجرد ادعائنا البيعة على يده عليه السلام؟ كلا، وإنما يقتضي ذلك منا إدراك مدى الألم الذي كان سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ يشعر به من أجل الإنسانية، والذي يريد إمام هذا الزمان عليه السلام أن يخلقه في قلوبنا. وبعد إدراك ذلك الألم لا بد لنا من تفجير ينابيع الحب والوئام والمُثل الإنسانية من قلوبنا، ولا بد لنا من القضاء على الضغائن والأحقاد على كل الصعد، مهما كانت صغيرة وبسيطة، وإجراءِ عيون الحب والوداد التي تروي العالم بماء معين يهب الحياة، ويشفي غليل القلب والروح، ويهيئ السكينة المادية والطمأنينة الروحانية أيضًا. لا مناص لنا من أن نسعى من خلال كل عمل لنا لحماية العالم من الظلم، ولا بد لنا من الجهاد ضد الظلم عاملين بجميع متطلبات العدل التي هي مذكورة في القرآن الكريم ولا سيما في الآية التي تلوتها عليكم آنفًا. إذا عمِلنا بكل هذا عندها نكون في عداد المحبين الصادقين لمحسن الإنسانية ﷺ، وعندها نُعَدّ بين الذين يعملون على تحقيق الهدف من بعثة الخادم الصادق لـ "رحمة للعالمين" ﷺ. علينا أن نسعى قدر المستطاع للقضاء على أنواع الظلم والعدوان التي

تمارَس اليوم في العالم بدءًا من أدنى صعيد في المجتمع حتى أعلى صعيد على مستوى الدولة والعالم. إن حضورنا في هذه الجلسة لن يجدينا نفعًا إلا إذا قمنا بتقوية إيماننا بالأعمال الصالحة، وفوق كل شيء إذا قمنا بتبليل مساجدنا بالدموع في أدعيتنا. وأدعيتنا لا تكون من أجل إنقاذ أنفسنا من العدوان، بل تتألم قلوبنا من أجل الإنسانية كلها، فسندعو للإنسانية جمعاء، سندعو لإقامة حكم الله في العالم، سندعو للتوفيق في جمع الناس على عبودية ربهم الأحد، سندعو لكي يليّن الله قلوب خلقه، سندعو لرفع راية "رحمة للعالمين" ﷺ في العالم، ففي ذلك يكمن بقاء الإنسانية، وفي ذلك يكمن بقاء العالم، وفي ذلك يكمن سلام العالم، وفي ذلك ضمان انتشار الحب في العالم، وليس هناك طريق ولا سبيل لتعليم الدنيا الحبَّ والسلامَ.

تدّعي الحكومات الدنيوية اليوم أنها تشنّ الحروب إرساءً للسلام، وأنها تبيع السلاح إنقاذًا للإنسانية من العدوان. إنهم جميعًا يخدعون. إنهم كلهم يكذبون. ليست غايتهم إلا مصالحهم الشخصية. إنهم يخوضون الحروب في البلدان الأخرى فقط طمعًا في ثرواتهم. إنما هدفهم الاستيلاء على خيرات الآخرين، وليس توطيد السلام. إنما يريدون إظهار قوتهم والتغلب على غيرهم. إن منافعهم الذاتية هي الدافع وراء فتحهم جبهاتٍ جديدة للحرب، وإن مصالحهم المادية هي الحافز وراء تأسيسهم قواعدهم في دول أخرى بحجة إرساء السلام أو مساعدة الناس في الحصول على حرية الرأي والضمير. إن هؤلاء الماديين بعيدون عن الله تعالى، فمن المحال أن يكونوا عادلين منصفين. وهذا ما نراه من خلال أعمالهم، وهذا ما يرى في العالم كله اليوم. يُسفَك دم

الإنسانية باسم العدل، مما يولّد إرهابيين جُددًا كل يوم، ويدفع الدنيا بسرعة إلى دمار مخيف.

فيا غلمانَ المسيح المحمدي، إنها لمسؤوليتكم أنتم اليوم. فاسعوا لتوطيد السلام في العالم والمحافظة عليه بكل ما أوتيتم من قوة من خلال أعمالكم وأدعيتكم وبصرف عنايتكم إلى هذا الأمر كلية. فلا تغادروا مجالسكم هذه التي جمعتْكم في قرية إمام الزمان هذه من أجل رقيكم الروحاني إلا وقد عاهدتم الله تعالى أنكم ستُحدثون في أنفسكم ثورة روحانية، وتنشئون مع ربكم الأحد صلة خاصة تعجِّلون بها تلك الثورة التي تجعل الناس يعرفون ربهم الذي خلقهم بدلاً من أن يتردوا في هوة المصالح الشخصية ويفقدوا السلام. فإن هذا هو الهدف الأهم الذي بُعث المسيح الموعود عليه السلام مِن أجله، وهذه هي الغاية التي من أجلها بايعناه عليه السلام اليوم. وفقنا الله تعالى لذلك.

بعد ذلك سنقوم بالدعاء. كان الله معكم في ترحالكم إلى بيوتكم، وحفظكم من كل شر في الطريق. ابدأوا سفر عودتكم أيضًا بالصدقات، وداوِموا فيه على الدعاء. كان الله حافظكم وناصركم جميعًا. اذكروا في دعائكم دراويش قاديان وذرياتهم، وكذلك إخوانَنا الأحمديين في باكستان. اذكروا في أدعيتكم كل الأحمديين في العالم. اذكروا في دعائكم كل من هو في كرب من أي نوع كان بأن يرحمه الله بفضله. ادعوا للإنسانية المكروبة بأن يهديهم الله إلى الصراط السوي. تعالوا الآن نَدْعُ معًا.